قراءة في كتاب آلان هارت: «الصهيونية العدو الحقيقي لليهود»:

كيف تمكنت اسرائيل من تهديد السلام في العالم

د. نهى خلف*

■ الان هارت الصحافي البريطاني المشهور مؤلف كتاب «عرفات ارهابي او رجل سلام» الذي نشر في عام 1985 بادر بنشر كتاب جديد بعد عشرين عاما عنوانه «الصهيونية العدو الحقيقي لليهود»، وحسب قوله فإن هذا الكتاب قد كلفه خمسة أعوام من العمل الدؤوب لإعادة ترتيب قصة تجربته الصحافية في دهاليز الشرق الأوسط منذ أن بدأ عمله كمراسل للأي ـ تي ـ أن ولبرنامج بانوراما في الاذاعة البريطانية (البي ـ بي ـ سي) مما أدى به إلي معاشرة قيادات سياسية هامة من طرفي الصراع العربي ـ الإسرائيلي ومن أهمهم ياسر عرفات وغولدا مائير وبالتالي الى معرفة خفايا الديبلوماسية السرية في الشرق الأوسط. وبسبب أسلوبه المثير فقد وصفه البعض على انه قد ساهم في بلورة نموذج جديد من الصحافة التي «تدخل المتفرج في العالم الحقيقي».

فبعد ان أمضى آلان هارت أربعة عقود من الزمن في متابعة قضية الشرق الأوسط توصل هذا الصحافي البارع الى استنتاج اساسي وهو ان الاعلام الغربي برمته منحاز لصالح الفكر الصهيوني وان ذلك نتيجة للاساطير التي تروجها الصهيونية من جهة والى عدم المعرفة للحقائق التاريخية من جهة أخرى. كما استنتج هارت ان الصهيونية هي ما ستؤدي باليهود الى الهاوية وعلى هذا الاساس اخذ آلان هارت على عاتقه بعد اعتزاله الميدان الصحافي هذه المهمة الشاقة التي تطلبت منه العودة الى الماضي والغوص في أعماق تاريخ القضية الفلسطينية وتشغيل ذاكرته لسرد روايته التاريخية باسلوبه الخاص الذي يمزج بين المعلومة الصحافية والتحقيق البحثي والاثارة من أجل انجاز هذا العمل الضخم المكون من الف صفحة والمنقسم الى مجلدين يضم الاول منهما ثلاثة أجزاء و22 فصلا ويضم الثاني والذي لم ينشر حتى الآن لاسباب مالية، 17 فصلا.

ومن الجدير بالإهتمام أن الجزء الأول من المجلد الأول والمكون من 22 صفحة فقط مخصص لعلاقته بغولدا مائير والتي يسميها «أم إسرائيل» وعنوانه «صوت من المقبرة» وأهمية هذا الفصل بالنسبة له ناتجة عن كونه من أول الصحافيين الذين سجلوا لغولدا مائير اول مقابلة على الهواء في برنامج بانوراما الخاص بالإذاعة البريطانية في عام 1971 رددت فيه مقولاتها الشهيرة التي تستنكر عبرها وجود شعب فلسطيني حيث قالت «لا يوجد شيء إسمه فلسطين» مضيفة «الأمر ليس وكأن هناك شعبا فلسطينيا وجئنا لطرده ولأخذ بلاده منه. فإنهم غير موجودين». ويتذكر الان هارت هذه الحادثة بشكل خاص لأن غولدا مائير تركت له رسالة على شكل وصية مع معاونتها الخاصة لتعلم آلان هارت بها بعد موتها حيث ابلغته هذه المعاونة: «أن غولدا مائير طلبت مني أن أعطيك هذه الرسالة وأكدت على أن أعدها بأنني لن أدلي بها إلا بعد موتها فطلبت مني أن أقول لك انها بعد أن عبرت عن رأيها في تلك المقابلة الشهيرة، شعرت أن ما أدلت به هو أغبى شيء قالته في حياتها».

ويهدف هارت عبر اعترافه بعلاقة طيبة مع غولدا مائير التي يعتبرها من اصدقائه رغم خلافه معها في الرأي عدة مرات وعبر علاقاته مع أشخاص مثل شلومو غازيت الذي يعتبره من أحد أصدقائه ان يبين ان الفكر الصهيوني مبني على اساطير كما وضح له شلومو غازيت حيث قال له يوما «إن المشكلة فينا نحن الإسرائيليين هي أننا أصبحنا ضحايا للدعاية التي نروجها عن أنفسنا» كما يريد الان هارت عبر ذلك أن يوضح أنه ليس من أعداء اليهود بل صديق لبعضهم وذلك لتفادي الوقوع بفخ الإتهام بأنه من دعاة اللاسامية مركزا على ضرورة التميز بين اللاصهيونية واللاسامية.

وعبر دخوله في كواليس التاريخ بدءا بقصة غولدا مائير وانتهاء بمشروع خريطة الطريق الذي يسميه الان هارت «خريطة الطريق إلى طريق مسدود» ومرورا بمجموعة من الفصول الخاصة بمراحل مختلفة من تاريخ الدولة الصهيونية وحروبها مع العرب وبفصول اخرى حول دور جمال عبد الناصر ومواجهته لأيزنهاور أو مع شاريت، ويخصص الان هارت ايضا فصولا عديدة حول السياستين البريطانية والأمريكية ودعمهما للصهيونية مبينا كيف خضعت السياسة الأمريكية منذ عهد الرئيس ترومان للحركة الصهيونية.

وقد خصص الفصل الثاني عشر من كتابه لقصة انتحار جيمس فينسنت فورستال والذي كان يشغل منصب وزير الدفاع في ادارة ترومان. واهتمام آلان هارت بقصة فورستال مثيرة للانتباه لأن فورستال هو الرجل الذي كانت لديه الشجاعة ان يقول ان من مصلحة أمريكا والعالم الحر وحتى اليهود في العالم أن لا تتدخل الحركة الصهيونية في السياسة الأمريكية الخارجية في الشرق الأوسط حيث كان يناضل من أجل إخراج قضية فلسطين من دائرة السياسة المحلية الأمريكية. فمذكرات فورستال تشير إلي الصعوبات التي كانت تواجه عملية أخذ القرار في الولايات المتحدة في الفترة التي بدأت بها الإمبراطورية البريطانية بالاضمحلال بينما بدأت بالمقابل الولايات المتحدة تواجه مسؤولياتها الجديدة لقيادة ما كان يسمي بالعالم الحر. فمن مهام فورستال الذي كان يحتل منصب وزير الدفاع في ذلك الحين، مواجهة القوة السوفياتية الصاعدة بعد الفراغ الذي نشأ في أوروبا والشرق الأدنى بعد هزيمة ألمانيا واليابان. وبما أن فورستال كان من رجال الإستثمار الناجحين وخاصة في القطاع المصرفي فكان يبني استراتيجيته على أساس عاملين محوريين:

أولا: أن الولايات المتحدة يجب أن تجد المال الكافي لتمويل خطة مارشال لإعادة بناء اوروبا الغربية المدمرة بعد الحرب.

وثانيا: أن في عملية البحث عن هذه الأموال لإنقاذ الرأسمالية في أوروبا الغربية وبريطانيا تلعب مسألة الحصول على النفط العربي دون انقطاع وبسعر منخفض دورا أساسيا وبالتالي أصبحت قضية النفط من اهتمامات فورستال الأساسية المتعلقة بقضية فلسطين، ولذلك اعتبر ان إنشاء دولة يهودية في وجه المعارضة العربية والإسلامية ستهدد المصلحة الأمريكية وستحد من إمكانية الولايات المتحدة للاداء الصحيح بشكل اشمل في المنطقة وعلى الصعيد العالمي.

ويعرض الان هارت سيرة فورستال الذاتية موضحا انه من أصل إيرلندي وانه كان مشهورا بنزاهته ونجاحه في مجال الأعمال مثله مثل مارشال وزير الخارجية انذاك، الذي كان يشارك فورستال في نظريته الإستراتيجية، في الوقت الذي كانت الحركة الصهيونية تحاول أن تسخر السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط لمصالحها الخاصة دون الإهتمام بنتائج سياستها على الأطراف الأخري.

وفي اجتماع وزاري في 7 تشرين الثاني/ نوفمبر 1947 أي ثلاثة اسابيع قبل التصويت في الجمعية العامة على قرار تقسيم فلسطين في الأمم المتحدة قدم مارشال رأي وزارة الخارجية الأمريكية حول الوضع الدولي وقد أكد أن الشرق الأوسط أصبح عبارة عن «علبة متفجرة» وأنه في حال اندلعت النيران في هذه المنطقة سيصبح من المستحيل إطفاؤها. وإثر هذا الإجتماع الوزاري كتب فورستال في مذكراته الملاحظة التالية حول مشاركته في هذا الإجتماع قائلا: «لقد كررت اقتراحي الذي عبرت عنه سابقا في عديد من المرات وهو أنه يجب القيام بمحاولة جدية لإخراج قضية فلسطين من السياسة الحزبية الداخلية الأمريكية. وقلت ان هناك اجماعا بأن السياسة المحلية يجب أن تتوقف على حدود المحيط الأطلسي، وأنه لا توجد مسألة أكثر خطورة على أمننا القومي من هذه القضية». وعند مقابلة فورستال لأحد أعضاء مجلس الشيوخ من الحزب الديمقراطي والمنتخب من ولاية رود ايلند، قال له «لا يجب السماح لأي مجموعة في هذا البلد أن تؤثر على سياستنا لدرجة أن تعرض أمننا القومي للخطر» وقد أجابه السناتور قائلا «ان هناك ولايتين أو ثلاثا لا يمكننا خوض انتخابات فيها دون دعم من يهتم بشكل خاص بالقضية الفلسطينية». ولكن أجابه فورستال «إنني أفضل فقدان تلك الولايات في الإنتخابات العامة بدلا من المجازفة التي قد تنشأ عبر ادراجنا القضية الفلسطينية على برنامجنا». وبعد حديث مطول بينه وبين السناتور الذي أكد له ضرورة إدخال القضية الفلسطينية في السياسة الداخلية الامريكية، والذي أعلمه بتخوفات اليهود بسبب عدم قيام الولايات المتحدة بواجبها للحصول على أصوات في الجمعية العمومية من أجل دعم مشروع تقسيم فلسطين، وبعد حوار يشبه حوار الطرشان بينهما شدد فورستال على ضرورة التفكير كثيرا حول هذا الموضوع الذي قد يؤثر سلبا «ليس فقط على العرب في الشرق الأوسط بل أيضا على العالم الإسلامي كله والذي يشمل أربعمائة مليون نسمة في مصر وشمال أفريقيا والهند وأفغنستان» ـ (والتي قد اصبحت اليوم مليارا ونصف مليار أو أكثر).

وهكذا استمر فورستال لفترة من الزمن في الاصرار في محاولته للتأثير على الحزبين، الديمقراطي والجمهوري، من أجل إخراج قضية فلسطين من برامجهما ولكن دون جدوى.

وهكذا يفسر الان هارت مأساة فورستال التي انتهت بانتحاره نتيجة لشعوره بانه لم ينجح في المحافظة على أمن بلاده وخاصة بعد أن تبنى فرانكلين روزفلت جونيور وجهة نظر الحركة الصهيونية.

ورغم دخول الان هارت بتفاصيل لا نهاية لها حول ما يجري في الكواليس وبين السطور إلا أن هدفه الاساسي هو أن يوضح كيف تمكنت الحركة الصهيونية من تهديد السلام في الشرق الأوسط لتصبح ليس فقط عدوة العرب والفلسطينيين بل أيضا العدو الأكبر لليهود. وليست قضية رسالة غولدا مائير الموجهة إلى الان هارت بعد موتها، أو قصة انتحار فورستال، إلا أمثلة عن الروايات العديدة التي يرويها الان هارت في كتابه المهدد بالتهميش من قبل اللوبي الصهيوني الذي يتهمه بمحاولة إثارة نقاش حول خطورة الفكر الصهيوني على اليهود عبر إدراج هذا النقاش في صلب السياسات الدولية والاقليمية والمحلية بدلا من إبقائه على هامش تلك السياسات.

ويعرف الان هارت كتابه عبر دعاية ساخرة على أنه «الكتاب الذي لا يريدون أن تقرأه» ويعني بذلك أن كل من لا يريدون إظهار الحقيقة حول قضية فلسطين وتوضيح الفرق بين اليهودية والصهيونية لا يريدون أن يتم نشر هذا الكتاب الذي يهدف الى توضيح ما كان يحدث فعلا مقابل ما تخترعه الصهيونية من أساطير متهما الإعلام الغربي بما في ذلك الـ(بي ـ بي ـ سي) بالتعتيم على أعماله وتجاهل كتابه لأنهم يرفضون لعب أي دور في تطوير الحوار حول الحقائق التاريخية مضيفا «إنني أتهم هذا الإعلام بالمشاركة في طمس الحقيقة التاريخية وبالتالي باتباع سياسة منحازة في تغطية الصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني».

* كاتبة من فلسطين

حلٌّ يتحدى الفلسطينيين على الأخذ به!

جواد البشيتي*

■ كل القضايا والمشكلات السياسية التي كانت تضرب جذورها عميقا في فكر الفلسطينيين وتفكيرهم السياسيين، وفي مشاعرهم السياسية والقومية، فقدت "الآن"، مع ما لـ"الآن" من أهمية تاريخية بالنسبة إلى الشعب الفلسطيني وحقوقه القومية، ووجوده الإنساني ـ القومي، جاذبيتها وتأثيرها ووزنها، وكأن الاهتمام بها، أو استمرار الاهتمام بها، هو مظهر اغتراب سياسي فلسطيني، أو مظهر انفصال للفلسطيني عن الواقع وحقائقه. شيئان لا ثالث لهما يريدهما الفلسطينيون جميعا، ويحتاجون إليهما، أكانوا موالين أم معارضين لكلا "المعسكرين"؛ وهذا الشيئان هما: اتقاء شر الاقتتال والحرب الأهلية، وإنهاء المعاناة الإنسانية ـ الاقتصادية ليس للموظفين الحكوميين وعائلاتهم فحسب، وإنما للغالبية الشعبية الفلسطينية التي تتضافر الضغوط العسكرية والاقتصادية والمالية لإسرائيل والولايات المتحدة، ولغيرهما، على إفقارها اقتصاديا حتى تصيب مقتلا من إرادتها السياسية القومية.

السياسة ليست امتدادا للمبادئ والعقائد، أو ليست هي دائما كذلك، ولا تُشتق منها حتى نتحلى بفضيلة توافق وتطابق السياسة مع المبادئ والعقائد، والتي هي الوجه الآخر لرذيلة فقدان الإحساس بالواقع. وأحسب أن الإحساس بالمسؤولية السياسية والتاريخية والأخلاقية لا يَظهر، ولا يتأكد، إلا من خلال التزام كل قيادة سياسية فلسطينية أن تنشئ وتُطور سياسة ومواقف سياسية (وغير سياسية) تلبي الآن، وفي المقام الأول، كلتا الحاجتين الفلسطينيتين العامتين: الحاجة إلى درء مخاطر الاقتتال والحرب الأهلية، والحاجة إلى إنهاء تلك المعاناة الإنسانية ـ الاقتصادية. وليس من مقياس يمكن ويجب أن تقاس به حيوية وقوة الفكر السياسي الفلسطيني سوى هذا المقياس، الذي فيه تكمن "إذا الشرطية الفلسطينية"، فكل موقف أو قرار لـ"حماس"، أو "فتح"، لـ"الحكومة" أو "الرئاسة"، هو موقف أو قرار سليم "إذا" سمح بتلبية كلتا الحاجتين.

قبيل إلقاء هنية لخطابه الشامل المسهب، سمعتُ رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس ينطق بجملة سياسية في منتهى الأهمية؛ وكم تمنيت أن لا يضيق بها خطاب هنية على طوله. وهذه الجملة ـ المبدأ هي "كل خيار مقبول إذا كان لا يؤدي إلى حرب أهلية"، فما هي أهمية أي موقف سياسي مبدئي إذا كانت الحرب الأهلية هي العاقبة التي تترتب على التفاعل الموضوعي، أو غير الموضوعي، لهذا الموقف مع الواقع الفلسطيني الغني عن الشرح والوصف؟!

إذا كانت المواقف المبدئية التي تضمنها خطاب هنية يمكن أن تُترجم، عبر تفاعلها مع الواقع، بمزيد من المعاناة الإنسانية ـ الاقتصادية لفلسطينيين، وبزيادة في مخاطر الاقتتال والحرب الأهلية، فالفلسطينيون، في عقولهم وليس في قلوبهم، لا يحتاجون إليها، ولا بد لهم، بالتالي، من النأي بأنفسهم عنها. وإذا كانت "فتح" و"الرئاسة" تعتقدان بأهمية وضرورة أن تلبي كل حكومة فلسطينية شروط ومطالب اللجنة الرباعية الدولية فلا بد لهما من أن يسعيا في سبيل ذلك من غير أن يفضي سعيهما هذا إلى الزج بالفلسطينيين في أتون حرب أهلية، فالموقف الصائب يغدو خطأ، أو خطيئة، إذا ما كان يشبه "النية الحسنة" لجهة علاقتها بجهنم.

لقد تحدَّث هنية عن الأوجه الخمسة للشرعية التي تتمتع بها "حماس"، وهي "الشعبي"، و"الدستوري"، و"الجهادي"، و"العربي"، و"الإسلامي"؛ ولكنه ضرب صفحا عن الوجه الأهم، والآن على وجه الخصوص، وهو "الواقعي"، فالشرعية الواقعية، أي المستمدة من واقع، يخالطه سعي دائم إلى تضييق الفجوة بين حقائقه والمبادئ، هي التي يحتاج إليها الفلسطينيون الآن، وهي التي بالنسبة إليهم شرط بقاء في المقام الأول.

في خطابه كرَّر هنية ثلاث مرات أن "حماس" لن تعترف بإسرائيل. هذا موقف أؤيده تماما، فإنَّ أحدا من الفلسطينيين ليس من حقه أن يدعو "حماس" إلى الاعتراف بإسرائيل؛ ثم أن الفلسطينيين ما زلوا في حاجة إلى معارضة تقوم على رفض الاعتراف بإسرائيل. ولكن هذا الموقف السياسي ـ المبدئي يحتاج إلى حماية واقعية؛ وليس من حماية كهذه إذا ما احتفظ الفلسطينيون بحكومة تُشدِّد، ولا تُضعف، حاجة "المجتمع الدولي"، أو اللجنة الرباعية الدولية، إلى الإبقاء على الحصار الدولي للفلسطينيين، ماليا واقتصاديا، وإلى تشديده. إنَّ لهنية الحق في أن يضرب "المجتمع الدولي"، أو اللجنة الرباعية الدولية، بحجر "لا للاعتراف بإسرائيل"؛ ولكن عليه قبل ذلك، ومن أجل ذلك، أن يترك، فورا، "البيت الزجاجي" الذي يستمسك بالبقاء فيه، فالسلطة الفلسطينية مع حكومتها ليست بـ"الموقع" الذي يحمي "الموقف".

كلام هنية لن يقع على أسماع فلسطينية تشبه سمعه، فكلامه يمكن أن يقع موقعا حسنا في نفوس عشرات الآلاف من الفلسطينيين؛ ولكن هذا الجمهور سيتضاءل حجما مع استمرار واشتداد المعاناة الإنسانية ـ الاقتصادية، ومع تزايد مخاطر الاقتتال والحرب الأهلية. لو اقترن هذا الكلام بنجاح حكومة "حماس" في حل مشكلة "الراتب الحكومي" بمنأى عن ضغوط الحصار المالي والاقتصادي الدولي لكان له وزن وأهمية الواقع، ولنظرنا إليه على أنه السياسة التي لا تعلوها سياسة لجهة صوابها وواقعيتها.

وإذا كان الفلسطينيون الآن، حيث يُظهرون عجزا متزايدا عن الحل الذاتي، أو العربي ـ الإسلامي، لمشكلة "الراتب الحكومي"، يقولون لإسرائيل: "لن نعترف بك؛ ولكننا نقبل هدنة معك، إذا ما أعدتِ إلينا كل الأراضي الفلسطينية التي احتللتها في حرب 1967"، فماذا سيقولون لها إذا ما نجحوا في أن يبتنوا اقتصادا يستطيعون أن يدرأوا عنه مخاطر كل حصار مالي واقتصادي خارجي، ومخاطر آلة الحرب الإسرائيلية؟!

إن كل فلسطيني، وليس هنية فحسب، يتمنى أن يكون الفلسطينيون ممتلكين للأسباب والشروط الواقعية لحل مرحلي كهذا؛ ولكن متى كان نيل المطالب بالتمني؟!

هنية نجح، في خطابه، في شيء واحد فحسب هو إظهار روح التحدي، الذي، في أهميته الموضوعية، يشبه صلوات كاهن في مواجهة صاعقة توشك أن تنقض عليه.

الخطاب خلا من نجاح حقيقي لحكومة "حماس" في تجارب كان ينبغي لها أن تنجح فيها. إننا لم نرَ نجاحا حقيقيا في التأسيس لمقاومة عسكرية من نمط تلك التي أسس لها "حزب الله"، ولا في التأسيس لنمط جديد ومثمر من التفاوض السياسي مع العدو، ولا في إنهاء للمعاناة الإنسانية للفلسطينيين يقوم على رفض الاستخذاء لشروط ومطالب اللجنة الرباعية الدولية، ولا في تعزيز الوحدة القومية للفلسطينيين، والنأي بهم عن مخاطر الاقتتال والحرب الأهلية.

قد يقال في دحض هذا الذي قلناه إن حكومة "حماس" لم تفشل؛ ولكن ثمة قوى لا قبل لها بها تسعى في منع التجربة الجديدة من النجاح. إن الفشل الذي أتحدث عنه، وأراه، هو فشل حكومة "حماس" في إحباط مسعى القوى تلك، فمتى كان النجاح في الصراع ثمرة امتناع الخصم عن الزج بكل قواه في الصراع؟!

على أن فشل "حماس" لا يعني، ويجب ألا يعني، أن "فتح" ناجحة لا محالة، فـ"فتح" يمكنها أن تنجح في حل مشكلة فشلت في حلها "حماس" وهي مشكلة "الراتب الحكومي"؛ ولكنها لن تنجح هنا إلا لتفشل في جعل التفاوض السياسي مع إسرائيل طريقا إلى حل نهائي للمشكلة القومية للشعب الفلسطيني.

"حماس" مدعوة إلى أن تظل مستمسكة برفضها الاعتراف بإسرائيل، وبرفضها تلبية شروط ومطالب اللجنة الرباعية الدولية؛ ولكن بما يعود بالنفع على الشعب الفلسطيني. وهذه الـ"لكن" إنما تعني أن تغادر "حماس" كل مواقع السلطة التنفيذية، وان تظل معتصمة بحبل المعارضة البرلمانية.

و"فتح" مدعوة إلى بذل الجهد في سبيل إقامة حكومة جديدة تستطيع إنهاء الحصار المالي والاقتصادي والسياسي الدولي الذي تتعرض له السلطة الفلسطينية. إن السياسة الناجحة لـ"حماس" و"فتح" هي السياسة التي في مقدورها أن تنهي المعاناة الإنسانية للفلسطينيين، وتقيهم شر الاقتتال والحرب الأهلية. وهذه السياسة لن تقوم لها قائمة إذا لم يخضع كلا الطرفين مصالحه الفئوية الضيقة للمصلحة الفلسطينية العامة الواقعية.

وإذا كان من خيار يمكن وينبغي للرئيس عباس الأخذ به في حال بقاء السياسة خاضعة لمنطق المصالح الفئوية الضيقة فهذا الخيار إنما هو الاحتكام إلى الشعب عبر استفتاء شعبي، يقرِّر فيه الفلسطينيون الحل وسُبله.

إن الرئيس عباس يستطيع أن يقترح برنامجا سياسيا لحكومة فلسطينية جديدة، وأن يدعو، من ثم، الشعب إلى الإدلاء برأيه في هذا البرنامج المقترَح، عبر استفتاء شعبي، فإذا أقرَّته الغالبية الشعبية، يكلِّف هنية، مثلا، بصفة كونه ممثَّلا لحزب الغالبية البرلمانية تأليف الحكومة الجديدة، فإذا هو رفض عُمِل بالجزء الآخر من المقترَح الذي أقر في الاستفتاء الشعبي وهو إجراء انتخابات تشريعية جديدة (أو تشريعية ورئاسية) فالبرنامج المقترَح، والمقر شعبيا، يجب أن يجد له غالبية برلمانية تتبناه وتلتزمه.

* كاتب ومحلل سياسي فلسطيني ـ الاردن

تأثير اسرائيل وادواتها على الاعلام السويدي

رشيد الحجة*

في اطروحته لشهادة الماجستير يتحدث الباحث يوهانيس فالستروم عن الكيفية التي تنتهجها اسرائيل في ممارسة الضغوط على مراسلي الاعلام السويديين لدى نقلهم الاخبار عما تقوم به اسرائيل تجاه الفلسطينيين في الاراضي المحتلة التي تعتبر المنطقة الاكثر تغطية في العالم، وعن ممارسة اللوبي الصهيوني والاسرائيلي وباشراف السفارة الاسرائيلية في السويد من خلال ملاحقة كل من تسول له نفسه طرح ولو كلمة ناقدة او محرجة لاسرائيل.

ففي تقريرها السنوي لعام 2002 ذكرت جمعية مراسلون بلا حدود حول حرية الصحافة في العالم بان اسرائيل تعد الدولة رقم 92 من بين ال 132 المحتملين في قمع هذه الحرية، حيث تمارس الإبعاد والقتل للصحافيين في مكان الخبر والملاحقة وتشويه السمعة فيما بعد في مكان النشر.

في مكان الحدث، فلسطين المحتلة

عادة ما تكون الاوامر التي تحدد حرية حركة الصحافيين مدعومة من قبل الدوائر التي تراقب الصحافة في اسرائيل بالتعاون مع السفارات الاسرائيلية واجهزة المخابرات وقيادة الجيش. فعلى الصحافي السويدي الذي سيسافر الى المنطقة ان يتقدم بطلب للسفارة الاسرائيلية في ستوكهولم التي تعود بدورها لارشيفها لمراقبة ما نشره هذا الصحافي سابقا ولارشيف مخابراتها لمعرفة توجهاته السياسية.

بعد الوصول الى المناطق الفلسطينية المحتلة يتوجب على الصحافي التقدم بطلب تصريح لدخول موقع ما للحصول على بطاقة صحافية محلية. وعليه ايضا ان يوقع على موافقته لعرض مواده على الرقابة الحكومية مما يعرض المخالف للمساءلة. رغم هذا يتعرض الصحافي احيانا في الموقع ذاته لضغوط تمارسها النقطة العسكرية عليه كطلب التاكد من صحة التصريح.

يفيد مراسل التلفزيون السويدي لما يزيد عن 20 سنة بيتر لوفجرين: اذا اردت فانك تستطيع الالتفاف على الحواجز العسكرية لكن ذلك يعرضك للطرد او الحبس اذا كشف امرك.. وقد تعرضت شخصيا لاطلاق النار عدة مرات من قبل الجيش الاسرائيلي. وعندما يهاجمني المستوطنون يقف الجنود مكتوفي الايدي ينظرون.

في مكان نشر الخبر، السويد

ان تحديد حرية حركة الصحافيين في المناطق المحتلة يؤدي الى عدم ذهاب الصحافي الى موقع الحدث، الامر الذي يضطر بعضهم للاكتفاء بما يورده الاعلام الاسرائيلي او غيره ممن يستخدم اللغة الانكليزية. واذا تمكن احدهم من تهريب مادته الاعلامية وتوصيلها الى السويد فان بعض الصحف الكبرى لا تجرؤ على نشرها. يروي في ذلك المصور الصحافي السويدي دونالد بوستروم، الذي قام الجيش الاسرائيلي بمصادرة كاميرته وتهديده، ولكنه تمكن بطريقة ما من تهريب بعض الصور التي تفضح اسرائيل في قطعها لاحشاء من قتلتهم من الفلسطينيين وسرقتها قائلا بان جريدة «داجينز نيهيتر»، (اخبار اليوم)، لم تجرؤ على نشر تلك الصور معللة ذلك بان الصحيفة لا تريد المتاعب. لكن بوستروم نشر مادته فيما بعد في كتابه الذي عنونه باسم، ان شاء الله، حيث تعرض بوستروم على اثرها لحملة مضايقات هاتفية ورسائل تهديد على مدى شهور طويلة.

اما مراسلة جريدة «سفنسكا داج بلاديت» الصحافية اليهودية كورديليا ارفيدسون، التي كانت تعتبر من اهم الاعلاميين المؤيدين لاسرائيل، اصبحت توصف من خلال ردود الفعل المكثفة لما كتبته عن مشاهداتها اليومية بانها مؤيدة للفلسطينيين.

في حين تسلمت الصحافية لوتا شولكفيست بحدود عشر رسائل الكترونية غاضبة يوميا لمجرد نشرها خبرا مفاده ان المستوطنين الاسرائيليين يسممون المياه التي تصل الى المزارعين الفلسطينيين.

مما تقدم يستنتج القارئ بان اسرائيل وادواتها تتابع صاحب الخبر او الصورة القادمة من فلسطين على الساحة السويدية. فقد تعرضت مثلا مراسلة الاذاعة السويدية السيدة سيسيليا اودين للمساءلة ومحاولة الطرد من عملها نتيجة انتاجها الصحافي بتهمة عدم التوازن في اخبارها. وتعلق اودين على ذلك قائلة: كي يتمكن المرء من وصف النزاع باخلاقية مهنية عالية لا يمكنه الا ان ينحاز للطرف الاضعف.. ان النزاع هناك ليس بين طرفين متناظرين بالقوة، فلا يمكن للمرء ان يكون متوازنا.

ويتناول مراسل وكالة الانباء السويدية ستيفان يرتين جانبا آخر من المسألة حين يقول ساخرا: نجلس يوميا في رئاسة التحرير ونقيم فيها حياة الاسرائيليين باعلى مما هي عليه حياة الفلسطينيين! ثم يصف الملاحقات التي يتعرض لها نتيجة ما ينقله بانها تشتمل على التهديد وعلى ردود الفعل الغاضبة وتشويه السمعة من قبل اصدقاء اسرائيل. وقد جمع يرتين ملفا يحتوي على كافة المقالات الحوارية ومقالات القراء التي كتبت ضده وضد وكالة الانباء السويدية ت ت التي يعمل بها. ويضيف: لقد جمعنا قائمة باسماء الذين كتبوا فتبين انهم من جماعة الضغط الصهيونية ولا يزيد عددهم عن 22 شخصا، معظمهم معروفون على الساحة الاعلامية السويدية بانهم اسرائيليون او اصدقاء لها. ويعلق ستيفان يرتين انهم لا يشكلون ثقلا فاعلا في تشكيل الراي العام السويدي، واستشهد باستطلاع الراي الذي اجري في عام 2004 بان 80 % من السويديين ينتقدون ما تقوم به اسرائيل من اجراءات في المناطق المحتلة.

وما يجدر ذكره هنا هو ان التهمة الجاهزة لمن ينتقدون سلوكيات اسرائيل هي انهم لاساميون! وتؤكد الصحافية لوتا شولكفيست ذلك مقتبسة من اقوال احد المؤرخين الاسرائيليين: بان اللاسامية سيف اسرائيل المسلط على رقاب الاوروبيين.

ان حملات اسرائيل وادواتها ضد الاعلام السويدي وكذلك الدولي يضطر الصحافيين بكافة اختصاصاتهم لمراجعة موادهم مرات ومرات لاستخدام التعابير والمصطلحات المناسبة وتجميل او حذف ما امكن حتى يتمكنوا من النشر والاستمرار في اعمالهم والحفاظ على حياتهم خوفا من عصا وسيف اسرائيل وادواتها. في حين يتناول الكثير من الصحافيين الدوليين بما فيهم العرب تعابير قاسية ضد العرب والمسلمين دون وجل. ولان العرب والمسلمين جميعهم لا يلوحون ولو بقشة، فان ذلك يعرضهم للتطاول عليهم كما جرى مؤخرا على لسان البابا بنيديكت.

* صحافي فلسطيني يقيم في السويد

مرة مع السنة ومرة مع الشيعة!

د. محمد عجلاني*

■ عندما دخل رئيس الاجهزة الامنية الفرنسية الكساندر مارنش على رئيس الجمهورية الفرنسية جيسكار ديستان في نهاية حكمه محذراً اياه من خطورة التمدد الايراني الخميني مع بداية الثورة في ذلك الوقت وطالبا منه فتح كل خزائن السلاح الفرنسي لوقف هذا التمدد الشيعي حسب قوله الذي اذا وصل للعراق سيمتد الى سورية ويقيم تحالفا مع العلويين الذين هم جزء من الشيعة، وهكذا زودت فرنسا الديستانية الحكومة العراقية بكل ما تملك لوقف هذا التمدد الشيعي ولدعم الحكومات السنية كما يتعامل معنا الغرب.

كذلك دعم الغرب بكل ما يملك جماعة بن لادن والقاعدة عندما كانوا يحاربون السوفييت بالوكالة عن الغربيين. ولكنهم عندما طالبوا بخروج القوات الامريكية من السعودية اصبحوا الد اعداء الغربيين، وبدأ الغرب ينسج الخيوط مع شيعة افغانستان وايران لضرب سنة افغانستان، وهكذا كما هي لعبة البينغ بونغ مرة مع السنة وتارة مع الشيعة.

وعندما احتل صدام حسين الكويت عام 1990 اصبح ألد اعداء الغرب بعد ان كان صديقهم عندما كان يوقف المد الايراني.

واثناء غزو امريكا للعراق عام 2003 اعادت امريكا الاتصال هذه المرة بالشيعة الذين اصبحوا طيبين ليتخلصوا من حكمي صدام وطالبان المحسوبين على السنة.

واليوم بعد ان بدأت ايران تخطو نحو مشروعها النووي وتدعم حزب الله، اصبحت من محور الشر، وامريكا تفرق بين شيعة وشيعة، فالمالكي رجل طيب وكذلك العلاوي والجلبي، اما سماحة الشيخ حسن نصر الله فهو عدو وشرير.

وامريكا تلعب اليوم على الوتر الطائفي لاثارة فتنة كبيرة بين المسلمين، وهي تلوح بالمحور الشيعي التي هي دعمته في البداية لكي تقوم الان باخطار السنة «انظروا الخطر الذي يداهمكم» انها لعبة غربية قديمة منذ امد التاريخ، الم يستخدم الغرب الشريف حسين ضد السلطان عبد الحميد، وبعدها اضعف الطرفين وشتت شمل العرب والاتراك؟

الم يحرض الغرب الامبراطورية القيصرية الروسية لجرها الى حروب مع الامبراطورية العثمانية في البلقان والقرم وبعدها تآمر على الامبراطورية القيصرية واخرجها من المولد بلا حمص من خلال اتفاقيات سايكس بيكو المشؤومة، ومد خطوط مع الثورة الشيوعية لقلب حكم القياصرة؟

الغلط ليس في الغرب، انه في داخل العرب والمسلمين الذين ينجرون الى مثل هذه المناورات والمخادعات، ان الخطأ يكمن في عقولنا والأحرى في نزواتنا والغشاء الذي نضعه على اعيننا لاننا لو ندرك ونفكر جيدا لما تركنا هذا الغرب يلعب بنا كلعبة البينغ بونغ.

* رئيس مركز دراسات الحياة السياسية السورية في باريس

عن القضاء والحكم العادل الرشيد

عادل الحامدي*

■ أصعب اللحظات على الإنسان أن يقف هكذا في قفص اتهام أمام قاض لا يعرف بأي تهمة تجري محاكمته ولا يستطيع أن يرد اتهامات لا قبل له بها. الإنسان آية من آيات الله في كل شيء حتى في طريقة تعاطيه مع بنات الدهر التي عادة ما يكون وقعها شديد الأثر. وأخطر المهام التي توكل للإنسان أن يتم تحكيمه لحل قضايا يصعب أن يكون فيها نزيها ولا أمينا، خصوصا تلك المتصلة بقضايا الرأي والسباق نحو كرسي الحكم الذي يسيل له لعاب السياسيين منذ أن أوجد الله الخليقة حتى يوم الناس هذا. والقضاة في الدين كما هم في الحياة، منهم من يعرف الحق فيحكم به ومنهم من يعرف الحق ولا يحكم به لضرورة ما ومنهم من لا يعرف الحق فيحكم بما يعرف. خلال قرون طويلة قدم الغرب وقبله قدم المسلمون إسهامات كثيرة لترشيد الحكم في الشأن العام، وسال حبر كثير في التنظير لأصول الحكم بين الناس مستلهمين ما جاءت به الديانات الثلاث في سبيل إقامة العدل بين إدارة الشأن العام على نحو يضمن الأمن والسلام بين الناس. وباستثناء فترات قصيرة فإن أغلب تاريخ البشرية كان ترجمانا واقعيا لسنة التدافع بين البشر التي أسالت دماء كثيرة وأضاعت جهودا كبيرة ووقتا كان بالإمكان استثماره في البناء والتشييد وفك طلاسم ما تبقى من الوجود المادي غير معلوم. ومع الفتوحات المتواصلة التي تم تحقيقها في مجال ترشيد الحكم واحترام كينونة ابن آدم فإن ما تم سنه من قوانين ودساتير للفصل بين السلطات لم يرق بعد إلى الاستجابة لحاجيات الإنسان المتجددة.

عندما قررت رئيسة الديبلوماسية الأمريكية المرأة السمراء كوندوليزا رايس المنتبهة إلى كل شيء حتى نظراتها، أن تشد أحزمة الرحيل إلى الشرق الأوسط وفي جعبتها حزمة من الإبداعات الأمريكية لإحياء عملية السلام في الشرق الأوسط بناء على تقسيمه إلى محاور معتدلة وأخرى مدمرة، لم تفكر في ابداع واحد لإيقاف فصول المحاكمة التي يتعرض لها عدد من النواب العرب في الكنيست الإسرائيلي بتهمة التحريض ضد إسر